

220492 - معنى حديث : (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ : صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ)

السؤال

ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في وصية نوح عليه السلام : (فإنها صلاة كل شيء ، وبها يرزق الخلق) ؟ وهل يجوز أن يقال عما فعله مع الأعرابي في أول الحديث ، هل يقال هذه فراسة أم ماذا ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا :

روى الإمام أحمد (6583) ، والحاكم (154) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ : " كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ، عَلَيْهِ جُبَّةٌ سِيْجَانٍ مَزْرُورَةٌ بِالْدِيْبَاجِ ، فَقَالَ: أَلَا إِنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا قَدْ وَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ ابْنَ فَارِسٍ !! قَالَ: يُرِيدُ أَنْ يَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ ابْنَ فَارِسٍ، وَيَرْفَعَ كُلَّ رَاعٍ ابْنَ رَاعٍ . قَالَ: فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَجَامِعِ جُبَّتِهِ ، وَقَالَ : (أَلَا أَرَى عَلَيْكَ لِبَاسَ مَنْ لَا يَعْقِلُ) ؟ ! ثُمَّ قَالَ : (إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ : إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ : أَمْرُكَ بِائْتِنَيْنِ ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ ، أَمْرُكَ بِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ ، وَالْأَرْضَيْنِ السَّبْعَ ، لَوْ وَضِعَتْ فِي كِفَّةٍ ، وَوَضِعَتْ لِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ ، وَالْأَرْضَيْنِ السَّبْعَ ، كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً ، قَصَمْتَهُنَّ لِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ . وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ . وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكَبْرِ) .

صححه الحاكم ، ووافقه الذهبي ، وكذا صححه الألباني في " الصحيحة " (134) و صححه أيضا محققو المسند .

ثانيا :

قوله صلى الله عليه وسلم : (وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ) في معنى قوله تعالى : (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) (الإسراء/ 44 ؛ يعني : يسبح بحمده سبحانه كل شيء ، قال ابن كثير رحمه الله : " أَي : وَمَا مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ : أَي لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ أَيُّهَا النَّاسُ ، لِأَنَّهَا بخلاف لغاتكم ، وهذا عام في الحيوانات والجمادات والنباتات " انتهى من " تفسير ابن كثير " (73 /5) .

وقال السعدي رحمه الله :

" (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ) من حيوان ناطق وغير ناطق ومن أشجار ونبات وجامد وحي وميت إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ بِلِسَانِ الْحَالِ وَلِسَانِ الْمَقَالِ . (وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) أي: تسبيح باقي المخلوقات التي على غير لغتكم بل يحيط بها علام الغيوب " انتهى من " تفسير السعدي " (ص 459) .

ولذلك فإن العلماء يروون هذا الحديث عند تفسير هذه الآية .

وقوله : (وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ) : أي : إِنَّ التَّسْبِيحَ مِنْ مَفَاتِيحِ الرِّزْقِ عَلَى الْعِبَادِ ، وَذَلِكَ بِاعْتِبَارِينَ :

الاعتبار الأول : أن التسبيح تنزيه الله أن يكون معه نظير يخلق معه الخلق أو يرزقهم ، قال تعالى : (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) الروم/ 40 ، فالتسبيح شهادة من العبد أنه لا رازق إلا الله ، كما أنه لا خالق إلا هو ، ولا محيي ولا مميت إلا هو سبحانه ، وهذه الشهادة أول مفاتيح الرزق .
الاعتبار الثاني : الحمد في قوله : (سبحان الله وبحمده) ومعلوم أن الحمد والشكر يفتح أبواب الرزق ويزيد النعمة ، كما قال تعالى : (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) إبراهيم/ 7 ، قال ابن كثير رحمه الله :
" أَي : لَئِن شَكَرْتُمْ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ مِنْهَا " .

انتهى من "تفسير ابن كثير" (4/ 479).

ثالثا :

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْأَعْرَابِيِّ : (أَلَا أَرَى عَلَيْكَ لِبَاسَ مَنْ لَا يَعْقِلُ) لأنه يرتدي جبة من سيجان ، وهو جمع ساج ، وهو الطيلسان الأخضر ، مزروعة بالديباج ، وهو من الحرير الطبيعي ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إِنَّمَا يَلْبَسُ الْحَرِيرَ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ) متفق عليه .

والطيلسان من لباس العجم ، وليس من لباس العرب ، قال في " تاج العروس " (16 / 204):

" يُقَالُ فِي الشَّتَمِ : يَا ابْنَ الطَّيْلَسَانِ ، أَي إِنَّكَ أَعْجَمِيٌّ ، لِأَنَّ الْعَجَمَ هُمُ الَّذِينَ يَتَطَيَّلِسُونَ ، نَقَلَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ وَالصَّاغَانِيُّ " انتهى .
وتشبه العربي بالعجمي من السفه وقلة العقل ، ولذلك قال له : (أَلَا أَرَى عَلَيْكَ لِبَاسَ مَنْ لَا يَعْقِلُ) .

وهذا من فطنته صلى الله عليه وسلم وفراسته ومعرفته بأحوال الناس ، بما تدل عليه أقوالهم ، وأحوالهم .

والله تعالى أعلم .